# المعاني الأخرى للحلي وطريقة لبسها بمدينة الجزائر في العهد العثماني

دة./ عائشة حنفي

معهد الآثار-جامعة الجزائر2

**الملخص :**

يتمحور هذا المقال حول تطور الحلي في المجتمع الجزائري منذ ظهور الأشكال الأولى ذات التقنية البسيطة إلى الأشكال الحالية التي زادت تعقيدا، وتنوعا، تؤكد على تلك الصبغة الاتصالية التي رافقت الإنسان منذ ظهور أول حلية له وميزت كل مراحل تطورها، والتي رغم اختفاءها والتخلي عن استعمالاتها في أيامنا هذه، سوف نحاول إبراز قيمتها من خلال تحليل نماذج من الحلي الجزائرية حسب وظائفها.

كما أبرزنا أهمية هذه الحلي في حياة المرأة في مدينة الجزائر ومدى تمسكها بأناقتها تحت راية الذوق وسلامة الحس، والابتكار، ورفاهة شفافة سواء في بيتها أو في مختلف المناسبات والأفراح.

**- تمهيد :**

إن الفنون عامة والفنون الإسلامية خاصة غنية بعطاءات الإبداع، ولعل أجمل ما وقع من إبداعها ما تفنن فيه من صياغة الحلي وزخرفتها، وكان لموقع الجزائر الجغرافي، أثر واضح في تأثرها بأساليب الحضارات، التي مرت بهذه الأرض، فقد انفردت صناعتها، على مر العصور والأزمنة.

ويتجلى لنا ذلك، في صياغة الذهب، والفضة، والنحاس، ونظم الخرز، والمرجان، والودع، وغيرها من جواهر وحجارة كريمة، فارتبطت هذه الصناعة وأثرت بها، ما كانوا يمارسونه في بيوتهم من عقائده، وما توارثوه من عادات في هذا المجال من أمور، بعضها يتصل بالدين، وبعضها الآخر، بالعادات والتقاليد التي تنزل بعض الأشياء منزلة الخرافة، وتربطها بالغيبيات، لا لشيء إلا لكي نجد ما تستريح له في داخلها، وتهرب له من واقعها، فالعدد خمسة نجده مسيطرا

سيطرة كاملة عند أصحاب صناعة الصاغة، الذين يشكلون، قطعا متنوعة على شكل دائرة أو مثلث، ثم يرصعونها بخمسة فصوص، ويطلقون عليها "الخامسة" وقد يصنعونها أيضا على شكل اليد، ويلبسونها لنفي الأذى وطرد العين.

وهكذا، تشكل الحلي الجزائرية مع باقي الحرف الأخرى، فسيفساء من الفنون الإسلامية التي تشهد على ماضيها، وعراقة تاريخها وأصالتها، والتي مهما كان عمرها ومنطقة وجودها، فهي ليست نتاجا فرديا، وإنما يكتسبها الطابع الجماعي الذي يجعل الحرفي من خلال إبداعاته ناطقا باسم الجماعة التي ينتمي إليها، فهي التي تحدد المعايير، وكذا التغيرات التي يمكن أن يحدثها الحرفي على تخصصه، إما بالتخلي عن تقليد معين، أو بتبني، أو رفض أي إبداع آخر، لكن هذا الطابع الجماعي لا يميز مراحل إعداد الشيء فقط من اختياره للمواد الأولية، والتقنيات فحسب[1]، وإنما يتجلى، من خلال المعنى أو الدلالة التي تعطيها الجماعة لتلك الزخارف والأشكال التي تحملها حسب معتقداتهم، لتصبح بذلك، بما تحمله من دلالات ورسائل إنتاجا جماعيا.

I **المعاني الأخرى للحلي**:

إذا كانت الحلي في أيامنا تؤدي وظائف عادية كالاكتناز والتزين، فقد كانت في السابق تؤدي وظيفة رمزية.

فالرمزية تعتبر من الناحية الفنية لغة تشكيلية يستخدمها الصائغ عندما ينتج حلية معينة مختلفة الأشكال، وكل شكل فيها يرمز إلى معنى معين، فالصائغ في إنتاجه الفني، يخضع تلقائيا إلى قوانين متوارثة ومقاييس حددها المجتمع وتتوافق مع وجدان الجماعة، فنجده يضع في الحلي رمزا قد تكون أشكال لحيوانات، كالثعبان، وقد تكون لنبتات تعتز بها الجماعة كالزهور.

فهذه الأشكال ترتبط بمعاني متفق عليها من قبل الجماعة، والمرأة الجزائرية هي التي تضع هذه الحلي التي يصنعها الصائغ، وهي بذلك تبرز ارتباطها أكثر بالجماعة التي تنتمي إليها. حيث نجدها تضع كل حلية لتمرر رسالة معينة، والتحلي بهذه الحلي، يكون واضحا في إطار المناسبات الاجتماعية، وهذا من خلال وظائفها، وتأتي على النحو التالي:

1 - Benfoughal (T), « Question sur l'art populaire, Alger, 1992, p 43

أ- **العصابة :**

ترتبط العصابة، بالحياة الزوجية ارتباطا وثيقا حيث ترتديها المرأة، بمناسبة زواجها لأول مرة، ولأهمية الرسالة التي تحملها "كونها متزوجة" تسهر على وضع هذه الحلية داخل القبيلة وخارجها.

تظهر لنا علاقة الرسالة بالواقع في حلية العصابة، منذ القدم في طبيعة واقع الحروب، التي كانت تسود بين القبائل، والتي دفعت بأهل الفتاة، إلى وضع حماية لبناتهم المتزوجات، خلال وضعهن لهذه الحلية بصفة بارزة على جبهتهن.

تعتبر المرأة التي تضع العصابة والحاملة لمعنى زواجها، مرسلا في هذه الحالة، وتتمثل في العلاقة بين هذين الطرفين "المرسل، الرسالة" في تلك الملامح، والمعاني التي تحملها على وجهها، والتي تعبر من خلالها، على الفخر والاعتزاز، بالمكانة الممنوحة لها داخل الجماعة، كما تظهر هذه العلاقة في الثقة والطمأنينة البادیتين على تصرفاتها لإدراكها لتلك الحماية التي تتلقاها خارج قبيلتها " في موقع الحرب".

ومستقبلوا الرسالة في حالة العصابة، هو من أفراد الجماعة، التي تعيش فيها وكذلك أفراد الجماعة المعادية لها في حالة الحرب.

فردود أفعال جماعتها تظهر من خلال إبداء النساء استجابتين متعاكستين وذلك إما بالسعادة للمكانة التي تحتلها صاحبة العصابة أو عكس ذلك، في حين تتجلى ردود أفعال الرجال، في تجنب اقترابهم متزوجة وفي عصمة زوجها واحترامها، فإن كان أحد الشبان يحمل أمل الزواج بها، يقوم فور تلقيه لرسالة زواجها، بعدم مضايقتها والبحث عن شابة بكر.

كما يتلقى أفراد الجماعة التي تعيش فيها، والتي هي موضع حرب مع قبيلة أبيها هذه الرسالة، ليقوموا بدورهم بتوفير الحماية الكاملة لها، وعدم إقحامها في الحرب، لكون العصابة توفر لها صفة الحياد، وعدم التعرض لها.

كما ذكرنا سابقا فإن العصابة متكونة من مجموعة من الأشكال النباتية وألوان الأحجار الكريمة، لتحمل لنا فيما بعد معاني غنية وبالغة الدلالة حول انشغالاتهم، أفكارهم كمفهوم الخصوبة الذي رافق تواجد الإنسانية ككل.

تتكون رمزية العصابة، في كونها تحمل معاني المصاهرة[1]، فما أن تتزوج المرأة إلا وتضعها بشكل بارز على جبهتها، لتعلم كل من يحيط بها بهذه الرسالة، فهي تحافظ وتأكد على الاتصال، منذ يوم زفافها وتبقيها حاضرة معها، في كل من المناسبات، التي تستدعي تجمع الناس.

تتجلى لنا هذه الوظيفة بالنسبة لحلية العصابة، في السياق الذي توضع فيه، والذي يجعل مستقبلي الرسالة، يفهمونها وفق مدونة معينة، فإن كانت المرأة تحملها داخل الجماعة، فالمستقبلين في هذه الحالة، يفهمون الرسالة وفق المدونة الخاصة بقبيلتهم والمتمثلة طبعا في كونها متزوجة، أما إذا كانت المرأة الحاملة للعصابة خارجة جماعتها، فمستقبلي تلك الرسالة، يستوعبونها وفق مدونة الجماعة التي توجد فيها، والتي تعني طلب الحماية والوقاية.

**ب-الجبين :**

تضع المرأة حلية الجبين بطريقتين مختلفتين وتمثل الدلالات التالية :
- التعبير على كونها متزوجة عندما تضعه فوق رأسها كعصابة.
- التعبير على عزوبيتها[2]عندما تضعه متدليا على صدرها[3]

تظهر علاقة الرسالة بالمرسل، في حالة المرأة التي تضع الجبين على جبهتها من خلال تصرفاتها التي تظهر احتراما لزوجها، ولكل عائلتها "تفادي النظر والحديث مع الرجال الآخرين".

أما في حالة التي تضعه فيها المرأة على صدرها، فهي تظهر حرية أكثر في تصرفاتها، لكنه ليس بالدرجة التي تدفعها إلى الخروج عن القوانين، وضوابط الجماعة التي تعيش فيها، فيمكنها أن ترافق هذه الرسالة بنوع من الاهتمام بنفسها، لإظهار جمالها الذي يؤهلها للزواج.

تحدث الرسائل التي تبثها هذه الحلية، ردود أفعال مختلفة، ففي الحالة التي تعبر عن زواج المرأة، يقوم الشبان بعدم الحديث معها واحترامها، تفاديا للمشاكل التي يمكنها أن تحصل بينهم وبين زوجها.

---

1 - Co auteurs, Bijoux et parures ….. , p 66.

2 - الميلي (زينب)، عرائس من الجزائر، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2003، ص 148.

3 - يحمل لجبين عندما تضعه المرأة على صدرها عند النساء في كل المناطق في الجزائر نفس الرسالة.

أما في الحالة التي يوضع فيه لجبين على الصدر، يقوم الشبان الراغبين في خطبة صاحبته، بالتسابق لتحقيق ذلك، وعليه ما على الشبان إلا إدراك موضعه، لكي يتصرفوا بطريقة متلائمة مع صاحبة الرسالة التي تبثها.

تعمل المرأة المتزوجة على المحافظة على اتصالها من خلال إبقاء الحلية، على جبهتها مادامت تحت عصمة زوجها، ولا تقطعه إلا في حالات طلاقها أو وفاة زوجها.

أما فيما يخص الفتاة البكر، فهي بدورها تقييم الاتصال وتحافظ عليه منذ بلوغها سن الزواج، لكنها تقطعه عندما تتزوج لتحول بذلك موضع لجبين، وترفعه إلى جبهتها للدلالة على زواجها.

**ج-الأقراط:**

وهناك أنواع مختلفة منها، وكل نوع منها، يمثل رمزا من الرموز، أو يعبر عن رسالة معينة.

فهناك من الأقراط ما تضعه الأمهات لبناتهن البكر، وتظهر لنا هذه الوظيفة، في تمتع الفتاة التي تحمل هاتين الحلقتين، بنوع من الحرية مقارنة مع اللواتي دخلن سن البلوغ، هاته الأخيرة التي يحرص أوليائها على مراقبتها، والاعتناء بها أكثر، لإعدادها للزواج فيما بعد.

يعمل الأولياء على جعل الفتاة تحافظ على الاتصال من خلال هذه الحلية، وذلك بوضعهم إياها في أذنها مادامت لا تزال صغيرة، لكن بمجرد بلوغها تقطع هذه الرسالة لتعوض الحلقات بنوع آخر تعبر من خلالها على قدرتها على الإخصاب التي تعطي ثمارها بعد دخولها القفص الذهبي.

تضع المرأة حلقة سن اليأس، فما إن تصل إلى هذه الفترة من حياتها إلا وتضعها في أذنيها، وترافق هذه الرسالة ببعض التصرفات التي تهدف من ورائها عدم إظهار جمالها، وذلك لأنها لا تأمل في الزواج من جديد، لزوال قدرتها على الإنجاب.

مستقبلي هذه الرسالة، هم أفراد عائلة المرأة التي تضعها، وكل المحيط الذي تشغله، من أقارب وصديقات، إذ يتلقون فحوى هذه الرسالة، بطريقة تجعلهم لا يطلبون منها الزواج إذا ما كانت عانسا، أرملة، أو مطلقة، وتبقى بها مادام سن اليأس هو آخر مرحلة من المراحل المخصبة للمرأة.

وهناك نوع آخر تعرف "بالمشرف" توضع من طرف النساء تقريبا بسبب القوة الوقائية الكبيرة التي تظهر من خلال شكل الحرباء، ولهذا تحمل معاني بحسب طريقة وضعها، وكذا الحلية التي تضاف، نلمس في هذه الحلية حالتين لإقامة الاتصال وقطعه وهما :

حالة الفتاة البكر، التي ما إن تصل سن البلوغ، إلا وتقوم عائلتها بوضع، تمشرفت وحلية المقياس، لتعبر على كونها بكرا، وبهذا الشكل فهي تحافظ على الاتصال مادامت كذلك، ولكن ما إن يتقدم أحد الشبان لخطبتها وتوافق عليه، إلا وتقطعه لتدخل بذلك في فئة أخرى من النساء ونوع أخر من الاتصال الذي توكل مهام الإعلان عن مضمونه لحلية أخرى.

أما بالنسبة للمطلقات، والأرامل الحاملات لآمال الزواج من جديد، فهن يحافظن على الاتصال، ولا يقطعنه إلا في حالة ما إذا قررن الزواج من جديد، في حين أن تلك التي لا يرغبن في ذلك، فتؤكد على هذا الاتصال ولا تقطعنه.

كان الذكور يضعون العياشة، لأن هذا الحلي له دور وقائي، يتكون من دائرة مستديرة حيث تثبت قلادة على شكل خامسة أو ذرة من الذهب. وقد استعمل هذا الحلي كثيرا من قبل عائلات مدينة الجزائر، وخاصة للأمهات اللواتي افتقدت أولادا ذكورا عند الولادة فتثبت عياشة في آذان الولد طيلة عمره، وإذا افتقدها الصبي، لن يحمل أخرى.

**د- الإبزيم :**

عندما تثبت المرأة الإبزيم في الجهة اليمنى من الصدر، فهذه إشارة على أنها بكر وليست مرتبطة بأي شخص، وما أن تخطب، حتى تغير تثبيت نفس الحلية في الجهة اليسرى للصدر، وتظهر من خلال مجموعة من التصرفات، كتباهيها، وسعادتها بالمكانة التي تحتلها "خطبتها"، وفي هذه الحالة تتفادى الحديث والنظر، إلى شبان قريتها لتحاشي المناوشات، والأقاويل المسيئة لسمعتها، وسمعة كلتا العائلتين المتصاهرتين. تقطع الفتاة هذا الاتصال، في يوم زفافها لتعمل فيما بعد على حمل نوع آخر منه والذي تؤكده من خلال العصابة كما ذكرنا آنفا.

كما يرمز وضع المرأة للإبزيم في الجهة اليسرى من صدرها، إلى أنها قد أنجبت ذكرا، وتحافظ على الاتصال والتأكيد عليه، بحيث أنها ترافقها في عدة محطات من حياة ابنها كمراسيم ختانه، خطبته، وكذا زواجه لتقوم في

هذه الحالة الأخيرة بقطع هذا النوع من الاتصال. وعندما تضعها في الجهة اليمنى من صدرها فهي تشير إلى أنها أنجبت فتاة وتبقى محافظة على الاتصال أيضا، أما في حالة إنجابها للولد، فتقوم بتغيير مكان الإبزيم من الجهة اليمنى، إلى الجهة اليسرى من الصدر.

والاعتقاد السائد آنذاك، أن الإبزيم يعتبر حاميا للعروس من السحر. ولم تتغير التقاليد الخاصة بهذه الحلية، حيث توضع على طبق من الخشب، المستعمل في طقوس تحميم العروس، وبعد هذه العملية، يغطس الإبزيم في الحنة التي تتزين بها العروس، وهذا طبعا حتى يحمي العروس، من السحر الذي يمكن أن تضعه لها إحدى العزولات.

**هـ- السخاب :**

يخصص هذا النوع من العقد في هذه المنطقة للنساء المتزوجات، التي على وضعه بحضور أزواجهن فقط، لأنه في حالة غيابهم تقوم بحفظه في صندوق بعيد عن الأنظار،[1] بل يتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، فبمجرد ذكر اسمه أمام رجال آخرين من غير الزوج، فهذا كان يعتبر من غير اللائق ومخل للآداب.

وعليه فقد اتفقت المجموعة، على تخصيص هذه الحلية، بما تملكه من خصوصيات، العجينة المعطرة للمرأة المحبة لزوجها، في حين أنه يمنع عن الفتيات التي لا يحق لهن حتى لمسه.[2]

هذه القوانين والممنوعات، تفسر مفعوله المثير للشهوة، الذي كانت العجينة العطرة المفروض أن تفعله. تحضر العجينة من طرف امرأة ذات خبرة بأيام قبل زواج الفتاة التي ستلبسه أثناء المناسبات، ترش الغرفة وسرير العروسان، قبل دخولهما بالماء الذي كان فيه حبات هذه الحلية وهذا لمدة ساعات أو أيام من قبل.

تظهر لنا علاقة المرسل بالرسالة في هذه الحالة، من خلال ما تظهره المرأة من مشاعر لزوجها العائد إلى البيت، إذ تعبر له عن حبها وسعادتها بحضوره، من خلال وضعها للسخاب الذي خصه به أهل المنطقة.

---

1 - تقوم النساء بحفظ عقد السخاب في الصندوق و ذلك خوفا من أن تصيبه عينا لئيمة، كما أنها تحرس على فعل ذلك لكي تبقى على رائحته الزكية إلى يوم عودة زوجها.

2- Co auteur,, Bijoux et parures d'Algérie, Histoire, Technique, Symboles, édition. Somay, paris, 2003, p 91

كما يعتبر المستقبل في حالة هذه الحلية، زوج المرأة الذي تظهر عليه علامات السعادة، والثقة، ووفاء زوجته، الحريصة على وضع هذا العقد في حضوره، كما تظهر عليه ملامح الشوق لها بفعل تلك الرائحة الزكية، المنبعثة منه، التي يعتقد بأنها تبعد الأرواح الشريرة وتقرب الزوج من زوجته، إضافة لما سبق، فقد استعمل أيضا، من طرف المرأة الحامل التي تتخوف من فقدان جنينها، وإيقاف النزيف عند ولادته، وإبعاد الأرواح الشريرة.

أما العقد المسمى "الشنتوف" فقد كان يستعمل أثناء حفلات الأعراس، وخاصة ليلة الزفاف، حيث يقوم العريس بتخطي هذه الحلية، التي توضع على عتبة الغرفة، كرمز للثراء، والخصوبة، ويحصل هذا في مدينة الجزائر على الخصوص.

**و- الخلخال :**

يحمل الخلخال رسالتين تختلف بحسب فئات النساء التي تضعها ولهذا نجد :

- المرأة التي تضعها لإعلان زواجها.

- المرأة التي تضعها بهدف الافتخار بأبنائها.

وقد استعملت المرأة، لتأكد زواجها بوضع هذه الحلقات، عندما تنزع العصابة والإبزيم الحاملان لهذا المعنى، كما تظهر هذه الوظيفة كذلك، من خلال تشبيه الأبناء الذين يمتازون بسمعة جيدة ووزن في قبيلتهم، بالخلخال في رجل المرأة المتزوجة، وعليه تفتخر النساء بأبنائها الذين أصبحوا رجال هذا البلد بوضع هذه الحلية على طرف قدميها.

تحمل هذه الحلية، معاني تتمثل في إظهار، أو إعلان المرأة الكبيرة على كونها جدة، أما علاقة هذه الأخيرة، التي تضعه بقدمها، اعتزازا منها بهذه المكانة، فهي تبدي افتخارها أمام باقي النسوة، وتتباهى أمام الجميع بعراقة عائلتها، ومستقبل أحفادها الذين منحوها هذا اللقب. تقوم الجدة على الاحتفاظ على الاتصال والتأكيد عليه، مادام لها أحفاد يؤهلونها لوضعه.

تطهر نقود التاوسة (مبلغ صغير من المال يهديه الضيوف الأقرباء للزوجة) هي أيضا حيث يوضع المبلغ المجموع مع "خلخال" فوق كومة من القمح حتى يبعد العين الحسود عن العروس وأهلها.

تلبس هذه الحلية في الحفلات، فتبرز أناقة وجمال النساء الجزائريات وزيادة عن دورها التجميلي، فهي تثير الإعجاب وتعتبر أيضا حلية واقية تحمي حاملها من المآسي والأمراض والعين، كما أنها كلمة صوتية أيضا، لأنها تحذر الرجال بقدوم النساء، فيتركون المكان كما تريده الأعراف وذلك بالصوت الذي تحدثه عند سير النساء.

II **طريقة لبس الحلي**:

لقد تحولت المجوهرات منذ القدم إلى مادة للادخار ولذا كانت الحلي تدعم دائما بالأحجار الكريمة واللآلىء النادرة، فكل شيء في المجوهرات، "المادة، السعة، الروعة، والجمال" تعتبر عوامل مساعدة على إضفاء الغنى والبذخ والفخامة على الإنسان، وقد وضعت أشكال الحلي بطريقة بسيطة حتى تستطيع أن تتطابق مع كل أجزاء الجسم، كما أن هيئتها قد استوحيت من جميع الأشكال الهندسية كالأقواس، المشابك الزهرية، النجوم، الورود، الشرائط وغيرها.

لقد وصف الرحالة والمسافرون الأجانب الجانب الفاخر والمزدهر لحلي مدينة الجزائر ومن بين هؤلاء الرحالة : هايدوا (1612)، مارمول دي كرباخال(1667)، لوجي دي تاسي (1725)، الأسقف بوبار (1789)، فانتور دي بارادي في أواخر القرن الثامن عشر حيث تحدثوا عن تقاليد المغرب الإسلامي والتأثيرات الأوروبية والشرقية التي دخلت عليها، وتم وصف المرأة المزينة بمختلف زينتها.

كان لباس المرأة الجزائرية يتضمن العديد من الحلي والمجوهرات، ويؤكد الكاتب الإسباني "مار مول" في كتابه الوصف العام لإفريقيا في سنة 1667م : "كانت المرأة تضع أقراطا في أذنيها على شكل نصف دائرة من الذهب أو الفضة، وكانت ترتدي حزاما من الحجارة الكريمة، الأقراط كانت توصل بأعلى الرأس بخيط من الحرير، وهذا كي لا يؤثر عقل القرط على أذن المرأة، عند خروج النساء من بيوتهن يرتدين أساور كبيرة من الذهب أو الفضة، ويضعن سوارا واحدا في كل معصم، كما كان يرتدين أيضا حلقات في أرجلهن". [1]

أما هايدو الذي زار الجزائر في السنوات الأولى للقرن السابع عشر، وصف لباس نساء الجزائر وصفا دقيقا، فذكر أن المرأة كانت ترتدي عقودا من

1 - Marmol (C), description de l'Afrique general, vol3, Paris, p 147.

الحجارة الكريمة، وأقراط وحلقات توضع في الأصابع، أما في المعاصم فتوضع أساور رفيعة من الذهب أو الفضة"[1]

وحسب Laugier de tassy، كانت المرأة الجزائرية تضع على رأسها عند الخروج "صرمة" من الذهب أو الفضة، أساور تغطي سواعدها، وخلاخل تزين كاحليها، وكانت أصابعها مزينة بالخواتم المرصعة بالماس والحجارة الكريمة.[2]

كانت نساء مدينة الجزائر تضع أغلى الحلي، فكان الرأس يزين بعمرة من الذّهب أو الفضة مرّخمة بشكل مخروطي أو نصف كروي، وأحيانا مرصع بحجارة كريمة، ومحاط بزوج أو أكثر من صفوف قطع صغيرة من الذهب.

وحينما تريد أن تتزين، تضع فوق الشاشية وشاح يسمى "عصيصبة"، يغطي جزءا من الجبهة، ومعقودة من الخلف، ويثبت فوقه "الزريرف"، ولما تضع الصرمة الذهبية أوالفضية، تثبتها بواسطة شريط من قماش الكريب[3] الملّون، بينما تضع المرأة الغنية خاصة أثناء الأفراح والحفلات، شاشية مستديرة من الديباج أومن الساتان، أومن الدمشقي مطرزة بشكل كثيف بزخارف ذهبية، كما تزين البعض منها بأحجار كريمة، ولآلئ، واستبدلت الشريط القماشي منذ القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي، بشريط مصمم من الذهب مرصّع بالأحجار، والماس، والزمرد، وأصبح يسمى عصابة أوالتاج.

وفي نفس الفترة، تخلّت النساء المتزوجات لمدينة الجزائر، عن الشاشية (العرّقية) وعوّضتها بالصرمة التي لا يجب أن ترتديها الفتيات العازبات، وأول من تحدث عنها هو الدكتور شاو الذي زار مدينة الجزائر في حوالي 1142-1143هـ/1730، فقال أن المرأة ذات المستوى الاجتماعي الراقي، تضع على رأسها صرمة تتكون من عدة صفائح ذهبية وفضية دقيقة ومرنة، مقصوصة ومنقوشة تشبه الدانتيلا.[4]

لم تعد ترتدي النساء هذه الصرمة التي تخرج بها إلى الشارع، واستبدلتها بقبعة صغيرة لتثبت عليها الوشاح أو المحرمة، بينما الفتيات العازبات تضعن

---

1 - Haedo(F. D), «Topographie et histoire générale d'Alger », trad. De Monnerau et Berbrugger, in Revue africaine, 1871, p56

2 -Laugier de Tassy,Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam,1728,p 80

3 - نوع من أنواع الأقمشة الراقية.

4 - Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trad ; Jm. Carthy, 2eme ed, SD, p 37.

شاشية مثبتة تحت الذقن بواسطة خيط رفيع تسمى "قنيبة" وغالبا ما تزينها بقطع نقدية ذهبية بشكل مستدير يمثل المستوى الاجتماعي لعائلة الفتاة ومدى غناها.

**صورة رقم (01) إمرأة تتحلى بصرمة**

**المتحف الوطني الباردو-الجزائر-**

كانت المرأة تضع تحت العمرة بانحناء طفيف نحو الخلف أو على الجانب كما ذكرنا آنفا تاج من الفضة يسمى عصابة بالجزائر، وجبين في قسنطينة وتلمسان وهو نوع محبوب وأحيانا تضع المرأة اثنين أو ثلاثة فوق بعضهم.

وكانت المرأة تضع تحت العصابة جبينية، معروفة بالجزائر باسم خيط الروح، وفي قسنطينة وتلمسان باسم زروف. وكانت المرأة بمدينة الجزائر تلبس واحدة فقط، بينما في قسنطينة وتلمسان، فكانت المرأة تضع اثنتين، أو ثلاثة أو حتى أربعة الواحدة فوق الأخرى بطريقة تظهر العناصر الزخرفية الموجودة في وسط الحلي.

ويكمل طقم الرأس برعاشة التي هي عبارة عن دبوس رعّاش بشكل صفيحة دائرية مقسمة، تحمل أشكال أوراق زهور وسعفة ومرصعة بالماس.

**صورة رقم (02) طريقة لبس العصابة وخيط الروح**

تضع المرأة أقراط تكون عند بعضهن كبيرة تصل إلى مستوى الكتفين، وثقيلة إلى درجة أنها تمدّد ثقب الأذن ويصل وزنها إلى حوالي 500غ، وعند بعضهن حلقة عريضة جدا، زينا طرفاها بزخارف مذهبة أو أحجار كريمة وتسمى "ضرسة" أما المتدلية منها فتسمى "مناقش".

كما تزين الرقبة بمجموعة من العقود ذات الأحجار المركبة، وعقود من قطع السلطاني أو لويسس الذهبية (شنتوف)، والسخاب المصنوع من نباتات عطرية، ويرفق بمسكية، وكانت النساء الجزائريات، تشرك هذه الحلي بعقود أخرى تتكون من سلاسل مظفورة أو باروكية، علاوة على العقد الطويل الذي يتجاوز مستوى الصدر وعدة قلادات ذهبية تسمى "عمبارة" أو"عنبرة" كما تحمل معها دائما مرآة صغيرة ومكحلة لتزيين عيونها وحواجبها.

ترتدي النساء القلادات حيث تربط إليها تميمات من الفضة وغالبا ما تكون مثلثة الشكل ومزخرفة بأشكال، ويضاف إليها كتابات مقدسة (حروز) تقي من الأذى ومن القدر المشئوم والمصير المحتوم.

المشابك المخرّمة، المزينة بالجواهر والحجارة الكريمة، كانت تستعمل لشدّ ثنيات اللباس.

أما الأذرع، فكانت تزين بعدة أساور، مسايس حداید، مقياس مسموت، مقياس مشبك، وبعضها كان مزين بأشكال مطرّقة أو منقوشة أو بارزة، وأخرى تحمل زخرفة مخرمة.

لبست المرأة خواتم من الذهب على شكل إطباقة مسطحة ومزخرفة بأحجار كريمة تضيف لأصابع المرأة أناقة وجمالا.

**صورة رقم (03) امرأة تتزين بحلي من مدينة الجزائر**

تعطي المرأة الحضرية عناية كبيرة لجمال ساقيها فتزينها بحلاقات الأرجل المسماة بالخلاخل أو الرديف.

كانت المرأة في مدينة الجزائر تلبس خلخال يعرف "بالمنفوخ" أو"المخاوخ" بينما كان يسمى في قسنطينة وتلمسان "بالبريم" وكانت مظفورة بخيط الذهب أو الفضة وتنتهي بشكل رأس ثعبان.

وما نلاحظه حاليا، أن أنواع وأشكال بعض الحلي خاصة العصابات والصرمة لم تعد مستعملة بمدينة الجزائر، وأصبح الذهب أكثر استعمالا من الفضة. كما استعمل الصائغ القالب الذي أخذ مكان التقنيات القديمة في النقش والتقطيع.

وبما أن مدينة الجزائر مفتوحة أكثر على التأثيرات الخارجية، فإنها لم تحافظ على تلك التقاليد محافظة حسنة، لذلك كادت الحلي أن تزول كلية من هذه المدينة لأنها لا تتطابق مع الحياة المدنية، أصبح طقم الحلي تلبسه المرأة في يوم عرسها فقط مع التخلي على البعض منه.

ورغم كل هذا فقد أبرزت المرأة من خلال هذه الحلي عن الذوق الرفيع والراقي للموروث عن تقاليد عدة قرون.

حاولنا أن نقدم بالترتيب مختلف الحلي التي تلبسها المرأة، ابتداء من الرأس لغاية القدمين، كما تبين لنا من خلال استعراضنا لهذه القطع، أن هناك تواصل في استعمال العقود بمختلف أشكالها، والأقراط، والأساور، والخواتم، وبصفة ضئيلة استمرار استعمال خيط الروح، والعصابة، والخلخال أيام الأفراح فقط.

كما تمكنا من إبراز أهمية هذه الحلي في حياة المرأة في مدينة الجزائر، ومدى تمسكها بأناقتها تحت راية الذوق وسلامة الحس والابتكار ورهافة شفافة، سواء في بيتها أوفي مختلف المناسبات والأفراح.

**بيبليوغرافيا :**

**أولا- باللغة العربية :**

- الميلي (زينب)، **عرائس من الجزائر**، دار الشروق، ط. 1، القاهرة، 2003.

**ثانيا- باللغة الفرنسية :**

- Benfoughal (T), «Question sur l'art populaire, Alger, 1992.

- Co auteur, Bijoux et parures d'Algérie, Histoire, Technique, Symboles, édition. Somay, paris, 2003.

- Haedo (F. D), «Topographie et histoire générale d'Alger», trad. De Monnerau et Berbrugger, in Revue africaine, 1871.

- Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam, 1728.

- Marmol (C. ), Description de l'Afrique general, vol. 3, Paris.

- Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trad. Jm. Carthy, 2eme éd., SD.